﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾

[الأحقاف: 16]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

هل جزاءُ الإحسانِ إلى الوالِدَينِ إلّا الوعدُ الصّادِقُ بالجزاءِ والإنعامِ

لَمّا وصَفَ النَّظمُ الجليلُ في الآيةِ السّابقةِ هذا المُؤمِنَ بادِئًا بِهِ؛ لِكَونِهِ في سِياقِ الإحسانِ؛ نبَّهَ عَلى أنَّ قَبولَ الطّاعاتِ مَشْروطٌ بِبِرِّ الوالِدَيْنِ؛ لأنَّ ما ظَهَرَ دَليلُ ما بَطَنَ، ومَن لا يَشْكُرُ مَن كانَ مِن جِنْسِهِ - لا سيَّما وهو أقْرَبُ النّاسِ إلَيْه، وهو السَّبَبُ في إيجادِهِ - لَم يَشكُرِ اللّه، ولَمّا كانَ الإنسانُ مَحَلَّ النُّقْصانِ، وإن كانَ مُحْسِنًا؛ نَبَّهَ عَلى ذَلكَ بالإشارَةِ إلى التَّجاوُزِ عنهم، على أنَّ شَرْطَ تَكْفيرِ السَّيِّئاتِ التَّوْبَةُ، ولَمّا كانَ هَذا مُفْهِمًا؛ لأنَّهم مِن أهْلِ الجَنَّةِ؛ صَرَّحَ بِهِ زِيادَةً في مَدْحِهِم بأنَّهُم في أصحابِ الجَنَّةِ؛ لأنَّهم لَم يَزالوا فِيهِ؛ لأنَّهم ما بَرِحوا بِعَيْنِ الرِّضا[1]، فهو انتقالٌ من بيانِ حالِ الإنسانِ البارِّ مع والديه، وأثرِ ذلك في الطّاعاتِ، وعملِ الصّالحاتِ، إلى بيانِ الجزاءِ وتقبُّلِ أحسنِ الأعمالِ، والتَّجاوزِ عن السَّيِّئاتِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَتَقَبَّلُ﴾: (قبل) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، تَدلُّ كَلِمُهُ كُلُّها على مواجَهةِ الشَّيءِ للشَّيءِ[2]، والمعنى المحوريُّ: مُقدَّمُ الشَّيءِ الَّذي يُتَّجَهُ إلَيهِ مِنهُ لِمُلاقاتِهِ أوِ النَّفاذِ فِيه، ومِنهُ: قَبِلَ الهَديَّةَ قَبولًا، أي: أدخلها في حَوزَتِه، ومِن هَذا القَبول كُلُّ ما في القُرآنِ مِنَ الفِعْلِ: (يَقبلُ) لِلفاعِلِ ولِلمفعولِ، وكُلُّ (تَقَبَّلَ) ماضِيًا ومُضارِعًا لِلفاعِلِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 150.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قبل).

وللمَفْعولِ[1]، وقَبِلَ اللّهُ تَوبَةَ عَبدِهِ وعُذرَهُ، وتَقَبَّلَهُ، بِمَعنَى: أنَّهُ اعتَدَّ لَهُ بِما أتَى بِه، وبِما اعتَذرَ بِه، والتَّقَبُّلُ: قَبولُ الشَّيءِ على وجْهٍ يَقتَضِي ثَوابًا كالهَدِيَّةِ[2]، والمُرادُ بـ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ هنا: أنَّ اللّهَ تعالى يُجازِيهم بأعمالِهم الصّالِحةِ، ويرضاها منهم، ويُثيبُهم عليها.

2) ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾: (جوز) أصلانِ: أحَدُهما: قَطعُ الشَّيءِ، والآخَرُ: وسَطُ الشَّيءِ، فأمّا الوَسَطُ؛ فَجَوزُ كُلِّ شَيءٍ وسَطُهُ، والأصلُ الآخَرُ: جُزتُ الموضِعَ سِرتُ فِيه، وأجَزتُهُ: خَلَفتُهُ، وقَطَعتُهُ، وأجَزتُهُ: نَفَذتُهُ[3]، والمعنَى المحوريُّ: عُبورٌ أو نفاذٌ من طَرَفٍ إلى طَرَفٍ[4]، والتَّجاوُزُ: ألّا تأخذه بالذَّنب، أي: تتركه، والتَّجوُّز: خِفَّةٌ في الصَّلاة والعمل وسُرعةٌ[5]، وتَجاوَزَ عَنِ الشَّيءِ: أغضى، وتَجاوَزَ اللّه عَنهُ، أي: عَفا، وقَولُهُم: (اللَّهُمَّ تَجَوَّز عَنِّي، وتَجاوَز عَنِّي) بِمَعْنًى[6]، وهو المرادُ في الآيةِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عظيمُ النَّعيمِ والغُفرانِ لأهلِ الإحسانِ

تُبيِّن الآيةُ الكريمةُ جزاءَ أصحابِ الأعمالِ الجليلةِ في الآية السّابقةِ، الَّذينَ أحسنوا إلى آبائِهم، وتابوا من سيِّئاتِهم، فبيَّنَتْ أنَّ اللّهَ تعالى يَتقَبَّلُ عنهُم أحسنَ ما عملوا في الدُّنيا من صالحِ الأعمالِ، فُيجازِيهم بِها، ويُثيبُهُم عليها، ويصفحُ عن سيِّئاتِ أعمالِهم الَّتي فَرَطَتْ منهُم في الدُّنيا لِمامًا، ولم تكنْ عادةً لهم، بل جاءتْ بِحافزٍ من القوَّةِ الشَّهوانيَّةِ، أوِ القوَّةِ الغَضَبيَّةِ، فلا يُعاقِبُهم عليها، وهم منتظمونَ في سِلْكِ أصحابِ الجنَّةِ، داخلونَ في عِدادِهم، ثُمَّ أكَّد تعالى الوعدَ السّابقَ بأنَّهُ الوعدُ الحَقُّ الصّادِقُ الَّذي لا يتخلَّفُ، وأنَّه تعالى موفٍ به[7].

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قبل).
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (قبل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جوز).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (جبل).
(5) الخليل بن أحمد، العين: (جوز).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (جوز).
(7) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 20.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فصلِ هذِهِ الجُملةِ عن سابِقَتِها:

فصلَ النَّظمُ الحكيمُ قولَ اللهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ عن الجملةِ السّابقةِ؛ وذلكَ لأنَّ هذِهِ الجملةَ مستأنفةٌ، فهي استئنافٌ بَيانيٌّ؛ لأنَّ ما قبلها مِن الوصفِ والحثِّ يُحْدِثُ ترقُّبَ السّامعِ لمعرفةِ فائدةِ ذلك الإحسانِ إلى الوالدَينِ، فيسألُ في نفسِهِ عمّا أعدَّ اللهُ لهم، فكانَ قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ إلى آخره جَوابًا لترقيةٍ[1].

استشرافُ السّامعِ لمعرفةِ ما أعدَّ اللهُ للمحسنينَ من عظيمِ الجزاءِ

نُكْتَةُ الانتقالِ من صيغةِ المُفردِ إلى الجمعِ:

انتقلَ البيانُ القرآنيُّ مِن ضميرِ المُفردِ في الآيةِ السّابقةِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ إلى اسمِ الإشارةِ الجمعِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ وذلكَ لأنَّ المرادَ بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ في الآيةِ السّابقةِ غيرُ معيَّنٍ، فهوَ شاملٌ للجنسِ على قولٍ، أو نوعُ المؤمنين على قولٍ آخر، كما سبق بيانه؛ فجاءَ الجَمْعُ هاهنا؛ لأنَّ المُرادَ بِهِ الجِنْسُ المُتَّصِفُ بِالمَعْنى المَحْكِيِّ عَنهُ[2]، وربَّما كان في هذا الإفرادِ إشارةٌ إلى أنَّ للعملِ المذكورِ في صيغةِ المُفردِ شأوًا بعيدًا، لا يُصيبُهُ على وجهِهِ إلّا الواحدُ من الجماعةِ[3].

مقامُ الإحسانِ للوالدَينِ مقامٌ عزيزٌ لا تقومُ به إلّا الثُّلَّةُ المؤمنة

فائدَةُ الإخبارِ باسمِ الإشارَةِ للبعيدِ:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ اسمِ الإشارةِ للبعيدِ في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾؛ لِما فِيهِ مِنَ الإيذانِ بِعُلوِّ مكانتهم، وعُلوِّ دَرَجَتِهِم في الفضلِ والشَّرَفِ، أي: أولَئِكَ المَنعوتونَ بِما ذُكِرَ مِنَ النُّعوتِ الجَلِيلَةِ[4]، وكذلكَ فإنَّ في التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ عمومًا

عُلوُّ المكانةِ دليلُ رِفعةِ الأعمالِ وشَرفِ العاملِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 35.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 177.
(3) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 440.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 177.

يشملُ جميعَ المحسنين على هذِه الأرضِ، منذُ أن بعثَ اللّٰهُ فيها أوَّلَ نبيٍّ، وأنزلَ فيها أوَّلَ كتابٍ، ودعا عبادَه إليه، وأمَرَهُم، ونَهاهُم[1]، وللدَّلالَةِ على ثباتِ هذِهِ الأعمالِ الصّالِحَةِ لهم، وأنَّهُم مستديمونَ لها لا ينقطعونَ عنها، حتّى أصبحوا معروفينَ بكونِهِم محسنينَ، فيُشار إليهم باعتبارِ رسوخِهم في أعمالِ البرِّ، وكذلك فإنَّ في الإشارةِ لهم بيانًا لزيادةِ الاعتناءِ بتمييزِهِم، وإخطارًا لعملهم الطَّيِّبِ في الأذهان، وقد آثرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ باسمِ الإشارةِ الدّالِّ على البُعدِ.

بلاغةُ القَصرِ بتعريفِ طرفَي الإسنادِ:

في قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ جاءَ طرفا الإسنادِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ مَعْرِفَتَينِ للقَصْرِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ الذينَ تخلَّقوا بهذِهِ الأخلاقِ العاليةِ الحسنة، هم المذكورونَ المشارُ إليهم دونَ سِواهُم، والغايةُ من ذلكَ بيانُ فَضيلَتِهِم، وبيانُ اختصاصِهِم وعُلوِّ مكانتهم، وهوَ مِن قَصْرِ صفةٍ على موصوفٍ، فقصرت تلك الصِّفاتُ عليهم، وفي التَّخصيص تشريفٌ وتكريمٌ.

المحسنونَ إلى آبائِهِم جديرونَ بالتَّشريفِ والتَّكْريمِ

دلالَةُ استعمالِ الاسمِ المَوصولِ:

آثرَ النَّظمُ الجليلُ التَّعبيرَ بالاسمِ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قولِ اللّٰهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾؛ لأنَّ مَن أحسنوا إلى آبائِهِم حَقَّ الإحسانِ إنَّما هم نفرٌ جديرونَ بالذِّكرِ، فهم ليسوا مساوينَ لغيرهم من عموم المسلمين، فلم يُعبَّر عنهم بـ (مَنْ)؛ لتدلَّ على العموم، فآثَرَ التَّعبير بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لما فيها من الدَّلالةِ على التَّعيين والعهد، وعدلَ كذلك عن التَّعبير بالاسم الظّاهر، فلم يقل: (المحسنونَ)؛ وذلكَ لشهرتهم بالإحسانِ والإسلام وبكثير من الصِّفاتِ الجليلةِ، فالتَّعبير بالاسم الموصولِ المخصوص ملائمٌ للتَّخصيص الَّذي تجري عليه العبارةُ.

المُحسنونَ معروفونَ بصفاتِهِم الجليلةِ، فهُم غنيّون عن التَّعريفِ

(1) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 441.

دلالَةُ استعمالِ مُفرَدَةِ ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ مادةً وصيغةً:

قبولُ المحسنين إثابةٌ عظيمةٌ، وإيواءٌ في كنفِ الرَّحمنِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ عبَّرَ النَّظمُ عن إثابَةِ اللّهِ ﷻ للمحسنينَ بمفردَةِ (القَبولِ)؛ وذلكَ لما فيها من الدَّلالَةِ على دخولِهم في كنفِ الرَّحمنِ بدخولِهم في حوزَةِ كرمِهِ ورضوانِه، واعتدادِهِ ﷻ بما أتَوا بِهِ من الإحسانِ والبرِّ، وإثابتِهم على أعمالِهم الصّالحَةِ[1]، وقد جاءَ الفعلُ ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ في صيغَةِ التَّفَعُّلِ؛ للدَّلالةِ على أنَّهُ تعالى عَمِلَ في قَبولِهِ عمَلَ المُعتَنِي زيادَةً في إكرامهم[2]، والتَّقَبُّلُ: تَرَتُّبُ آثارِ العَملِ من ثَوابٍ على العَملِ واستِجابَةِ الدُّعاءِ، وفي هَذا إيماءٌ إلى أنَّ هذا الدُّعاءَ مَرجوُّ الإجابَةِ؛ لأنَّ اللّه تَوَلّى تَلْقِينَهُ، مِثل الدُّعاءِ الَّذي في سورَةِ الفاتِحَةِ وآخِرِ سورَةِ البَقَرَةِ[3].

غرضُ إسنادِ الفعل إلى نونِ العَظَمةِ:

المحسنونَ أحِقّاءُ بالتَّكريمِ والتَّشريفِ وزيادَةِ القدرِ

جاءَ إسنادُ فعل ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ إلى ضميرِ العظَمة؛ زيادةً في قدرِ التَّشريفِ والتَّكريمِ، فهوَ الَّذي يتقبَّلُ أعمالَهم، وليس أحد ملائكتِهِ؛ جزاءً بما كانوا يُكرمونَ آباءَهم في حياتِهم الدُّنْيا، ولقاءَ ما حرصوا على العملِ الصّالِحِ وصلاحِ ذرّيَّتِهم، فإنَّ اللّه يتقبَّلُ عنهم أحسنَ أعمالِهم؛ جزاءً من ربِّك عطاءً حسابًا.

توجيهُ القِراءاتِ القرآنيَّة:

الجمعُ بين تشريفِ المُحسنين، والامتنانِ بالقَبولِ في حَدِّ ذاتِهِ

وَرَدَت في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ وَنَتَجَاوَزُ﴾ قراءاتانِ متواترتانِ، فقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ وحَفصٌ بنونٍ مفتوحةٍ في الفعلين ﴿ نَتَقَبَّلُ ﴾، و ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾، ونصبوا كلمة ﴿أَحْسَنَ﴾ على المفعوليَّةِ، وقرأ الباقونَ بالياءِ مَضمومةً في الفعلين،

(1) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قبل)، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 26/ 20.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 150.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 35.

ورفعوا ﴿أَحْسَنُ﴾[1] على أنَّهُ نائبٌ عن الفاعلِ في ﴿ نَتَقَبَّلُ ﴾، أمّا القراءَةُ الأولى؛ ففيها زيادَةٌ في التَّشريفِ والتَّكريمِ من اللهِ بقَبولِ أحسنِ أعمالِهم، وفي القراءةِ الثّانيَةِ: ﴿أَحْسَنُ﴾ اهتمامٌ بالقَبولِ في حَدِّ ذاتِه؛ للعِلْمِ بأنَّ اللهَ وحدَهُ، ولا أحَدَ غيرُهُ، هو الَّذي يقبلُ عن المحسنين أحسنَ أعمالِهم، فجَمَعتِ القراءتانِ تشريفَ المُحسنين، والعنايةَ بقَبولِ أعمالِهم.

بلاغَةُ الإيجازِ في استعمالِ حرفِ (عَنْ) دونَ (مِن):

شُمولُ القَبولِ للأبناءِ البَرَرَةِ والآباءِ المُكَرَّمينَ

عُدِّيَ فِعْلُ ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ بحَرْفِ (عَنْ) في قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾، وحَقُّهُ أن يُعَدَّى بحَرْفِ (مِن)؛ تَغْليبًا لِجانبِ المَدعوِّ لَهم، وهُمُ الوالِدانِ والذُّرِّيَّةُ؛ لأنَّ دُعاءَ الوَلَدِ والوالِدِ لأولَئِكَ بمَنزِلَةِ النِّيابَةِ عَنهم في عِبادَةِ الدُّعاءِ، وإذا كانَ العَمَلُ بالنِّيابَةِ مُتَقَبَّلًا؛ عُلِمَ أنَّ عَمَلَ المَرْءِ لِنَفْسِهِ مُتَقَبَّلٌ أيْضًا، فَفي الكَلامِ اختِصارٌ، كَأنَّهُ قِيلَ: أولَئِكَ يُتَقَبَّلُ مِنهم، ويُتَقَبَّلُ عَن والِدَيهِم وذُرِّيَّتِهِم أحسَنُ ما عَمِلوا[2]، ويجوزُ أن تَكونَ التَّعْدِيَةُ بِـ(عَنْ) إشارَةً إلى أنَّ جِبِلّاتِهِم مَبْنِيَّةٌ عَلى التَّرَقِّي في مَعارِجِ الكَمالِ في كُلِّ وقْتٍ إلى غَيْرِ نِهايَةٍ، فتكونَ هذِهِ المَحاسِنُ لَيْسَت مِنهُم بِمَعْنى أنَّهم مَجْبولونَ على أعلى مِنها في نِهاياتِهِم، والعِبْرَةُ بالنِّهاياتِ[3]، فإذا تقبَّلَ اللهُ عنهم؛ فقد تقبَّلَ منهم، فجمعَ ذِكْرُ (عن) المعنيين.

دلالةُ صِيغَةِ ﴿أَحْسَنَ﴾:

الطّاعاتُ هي أحسنُ الأعمالِ، وما دونَها فهي المُباحاتُ

استعملَ النَّظْمُ الحكيمُ صيغَةَ أفعلِ التَّفضيلِ ﴿أَحْسَنَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾، ولهذا الاستعمال توجيهان: إمّا أن نقولَ: إنَّها للمبالغةِ في بيانِ المقبولِ من أعمال

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 373.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 35.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 150.

الطّاعات، فهذه الصِّيغة منزوعةُ المفاضلةِ، ولا يُراد منها التَّفضيلُ، فالله يتقبَّل عن أولئك أعمالَهم الصّالحة، والأعمالُ الصّالحة هي كلُّها طاعاتٌ يُتقرَّب بها إلى الله تعالى، فهي داخلةٌ في دائرة أحسن الأعمال، وإمّا أن نقولَ: إنَّها على بابِها في المفاضلةِ، وبيانُ ذلك أنَّ الأعمالَ المشروعةَ نوعان: أعمالٌ صالحة، وهي الطّاعات، وأعمالٌ دنيويَّة من المباحات، وهذه كلُّها أعمالٌ مشروعةٌ، والله تعالى يتقبَّلُ عنهم أحسنَ الأعمال، إذًا يتقبَّل جميعَ الطّاعات الَّتي كانت لله تعالى، ففيها حضٌّ على الأعمالِ الصّالحةِ، وحثٌّ على أن تكون المباحاتُ مَنويَّةً لله تعالى، وذهب بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ المرادَ باسم التَّفضيلِ هنا الدَّلالةُ على أفضليَّةِ برِّ الوالدَين، أي: الإحسانُ بالوالِدَين والدُّعاءُ لَهُما، وللذُّرِّيَّةِ من أفْضَلِ الأعمالِ، فَهو من أحْسَنِ ما عَملوا[1]، ويُعكِّر عليه الإشعارُ بالعموم في قوله تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾، وذِكْرُ: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾.

نوعُ ﴿مَا﴾ ودلالَةُ استعمالِها في قوله: ﴿مَا عَمِلُواْ﴾:

كـثرةُ الأعـمـالِ الـصّـالِـحَـةِ من أسـبـابِ حُـسْـنِ القَبولِ عندَ اللهِ

تحتملُ ﴿مَا﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أن تكونَ اسمًا موصولًا في محلِّ جرٍّ بالإضافةِ، أو حرفًا مصدريًّا، والمصدرُ المؤوَّلُ مجرورٌ بالإضافة، أي: أحسنَ عَمَلِهم، وفي استعمالِ ﴿مَا﴾ إشارةٌ إلى كثرةِ أعمالِهم الصّالحةِ الحسنَةِ، الَّتي يتقرَّبونَ بها إلى اللهِ تعالى؛ لما في ﴿مَا﴾ من الإطلاقِ والاتِّساعِ.

بلاغةُ استعمالِ ﴿عَمِلُواْ﴾ دونَ (قَدَّموا):

المـحـسـنـون قـاصـدونَ للعمل الصّالِحِ مـسـتَـدِيـمـونَ عليهِ

آثرَ النَّظمُ الجليلُ استعمالَ الفعلِ ﴿عَمِلُواْ﴾ دونَ الفعلِ (قَدَّموا)؛ لأنَّ مفردَةَ العملِ تحملُ قَصديَّةَ الفِعلِ والتَّوجُّهَ إليه، وفيها كذلك الدَّلالةُ على امتدادِ زمانٍ؛ إذ كانَ المَقصودُ المُثابَرَةَ عَليه، لا الإتيانَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 35.

بِهِ مَرَّةً أو بِسُرْعَةٍ[1]؛ إذ يصيرُ عَمَلُ الصّالِحاتِ طَبِيعَةً ودَيْدَنًا لعبادِ اللّهِ المحسنينَ، وأمّا الفعلُ (قَدَّموا)؛ ففيه إشارَةٌ إلى انتهاءِ وقتِ العملِ وسبق وقتِه، كما أنَّ الغالبَ عليه الإشارةُ إلى عملِ السَّيِّئاتِ والمجازاةِ عليها في الآخرة، ولمّا كانَ المقامُ مقامَ إحسانٍ وبِرٍّ؛ فقد عدَلَ البيانُ القرآنيُّ عن (قَدَّموا) إلى ﴿عَمِلُواْ﴾.

بلاغةُ عَطفِ قولِهِ: ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾:

عطفَ النَّظمُ الجليلُ قولَهُ تعالى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ على قولِهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ بالواوِ؛ لما بين الجُملتينِ من التَّقابلِ، فهو توسُّطٌ بين الكَمالين، فبعدَ الحديثِ عَن تقبُّلِ اللّهِ تعالى لأحسنِ ما عَمِلَ أولئكَ المحسنونَ، عطَفَ بالحديثِ عن تجاوزِ ما وقع منهم من السَّيِّئاتِ، وسِرُّ عطفِ هذا المعنى بعدَ المعنَى السّابقِ، أنَّه لمّا كانَ الإنسانُ مَحَلَّ النُّقصانِ، وإن كانَ مُحسنًا؛ نَبَّهَ عَلى ذَلِكَ، وعلى أنَّ من حُسنِ إنعامِ اللّهِ على هؤلاءِ المحسنينَ أنَّهُ تعالى يتجاوزُ عمّا اقترفوهُ.

تمامُ نعمةِ قَبولِ أحسنِ الأعمالِ التَّجاوزُ عن السَّيِّئاتِ

فائِدةُ ذِكْرِ (نَتَجاوَزُ) دونَ رديفاتِها:

آثرَ النَّظمُ الحكيمُ التَّعبيرَ عن عَدَمِ العقوبَةِ بمفردَةِ التَّجاوُزِ في قولِهِ: ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ دونَ غيرها، فلم يَقُلْ: (نغفرُ) أو (نَعْفو)؛ وذلك لما في (نتجاوزُ) من معنَى التَّركِ وعَدَمِ المُؤاخذةِ والتَّجوُّزِ والإغضاءِ والعَفوِ[2]، وكذلكَ فإنَّ المغفرةَ تتطلَّبُ استغفارًا وتوْبَةً، أمّا التَّجاوزُ؛ فلا يُشترَطُ فيهِ التَّوبَةُ والاستغفارُ، بل هوَ محضُ تفضُّلٍ من اللّهِ الكريمِ، وذلك جزاءُ برِّهِم وعطْفِهم على آبائِهِم وأمَّهاتِهِم.

تجاوزُ اللهِ عن سيِّئاتِ المحسنينَ محضُ تفضُّلٍ وعطاءٍ

دلالةُ تقديمِ ﴿نَتَقَبَّلُ﴾ علَى ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾:

قُدِّم ذِكْرُ تقبُّلِ الأعمالِ الحَسَنَةِ على تجاوُزِ السَّيِّئاتِ، رغمَ أنَّ

(1) السّيوطيّ، معترك الأقران: 3/ 487.

(2) الخليل بن أحمد، العين، وابن منظور، لسان العرب: (جوز).

تقديمُ حُسنِ الجزاءِ والتَّقَبُّلِ مبالغةٌ في ردِّ الإحسانِ، وطمأنَةٌ لنفوسِ المحسنين

الأصلَ أن يكونَ التَّقديمُ لتخليةِ السَّيِّئاتِ على تقبُّلِ الحسناتِ، كما جاء في مواضع كثيرةٍ، ومنها قولُه تعالى عن المجاهدين في سبيلِه: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [آل عمران: 195]، وكقولِه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النّساء: 31]، وذلك أنَّ تقبُّلَ الأعمال الحسنةِ هي عِلَّةُ التَّجاوز عن السَّيِّئات، ولمّا كان ذِكْرُ مكانَةِ برِّ الوالِدَين، بدأ النَّظْمُ بإبرازِ حُسنِ الجزاءِ والتَّقَبُّلِ؛ مبالغَةً في ردِّ إحسانِهم لآبائِهم بإحسانِ اللّهِ لهم، وطمأنَةً لنفوسِ المحسنينَ بقَبولِ أعمالِهمُ الحسنَةِ، ثُمَّ ترقَّتِ الآيةُ، فذكرت ما يزيدُ من طمأنَةِ نفوسِهم، وهو التَّجاوزُ عن السَّيِّئاتِ دونَ اشتراطِ توبَةٍ، لعِظَمِ إحسانِهم لآبائِهم وأمَّهاتِهم.

دلالةُ استعمالِ حَرفِ (عنْ) في قوله: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾:

برُّ الوالِدَين يُبعدُ الصّالحَ عن سيِّئاتِه

عَدَّى النَّظمُ الحَكيمُ فِعلَ (نَتَجاوَزُ) بحرفِ الجرِّ (عنْ)؛ وذلكَ لأنَّ (عنْ) تُفيدُ البُعدَ، وهوَ أصلُ معانيها، وفيها كَذَلِكَ معنى انفصالِ الشَّيءِ عَن مُعْطِيهِ وباذِلِه، فَهو أَشَدُّ مُبالَغَةً في مَعْنى الفِعْلِ؛ لأنَّ فيهِ كِنايَةً عَنِ احتِباسِ الشَّيءِ المَبْذولِ عِندَ المَبذولِ إلَيه، بِحَيثُ لا يُرَدُّ على باذِلِه[1]، فأفادَ استعمالُ (عنْ) شِدَّةَ بُعْدِ العفوِ والإغضاءِ عن سَيِّئاتِ المُحسنين.

نُكْتَةُ ذِكْرِ السَّيِّئاتِ دونَ رديفاتها:

جزاءُ البارِّ بوالِدَيْه السَّتْرُ عن سيِّئاتِه والصَّفحُ عن قبائِحِه

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بلفظِ السَّيِّئاتِ دونَ الذُّنوبِ أوِ الخَطايا في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، فإنَّ الخطيئةَ هي الذَّنبُ الصَّغيرُ الَّذي ليسَ فيه عَمْدٌ، وأمّا الذَّنْبُ؛ فيشملُ كلَّ جُرْمٍ تُستوخَم عاقبتُه في الدُّنيا والآخرةِ[2]، وقد آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 89.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، مفردات القرآن، وابن منظور، لسان العرب: (خطأ) و(ذنب) و(سوأ)، ومحمّد داوود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 46.

﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ لأنَّ السَّيِّئَةَ هيَ الذَّنبُ القبيحُ الَّذي يَسوءُ صاحبَه، ويراهُ النّاسُ سَيِّئًا، ففيه معنى المجاهرةِ، فامتنَّ اللّهُ عليهم بالتَّجاوزِ عنِ السَّيِّئاتِ المستقبَحَةِ، وسترهَم عن الفضيحَةِ أمامَ الخَلْقِ.

دلالةُ إضافةِ السَّيِّئاتِ للضَّميرِ (هم):

أضافَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ السَّيِّئاتِ للضَّمير (هُمُ) العائدِ على المحسنينَ المَذكورينَ في صدْرِ الآيةِ، والإضافةُ للاختصاص، فهي سيِّئاتٌ لهم؛ وذلك لبيانِ عظيمِ امتنانِ اللّهِ ﷻ عليهم بمغفرةِ السَّيِّئاتِ التي اقترفوها، وثبتَتْ في حقِّهم، فهُم في هذا الجانبِ قدْ تأكَّدَ ذنْبُهم وعصيانُهُم، بدلالَةِ إضافةِ السَّيِّئاتِ للضَّميرِ العائدِ عليهم، ومع ذلك فقد امتنَّ اللّهُ بالعفوِ عنهُم.

مغفرةُ اللّه تعالى وكرمُه أوسعُ من سيِّئاتِ المحسنينَ

بلاغةُ اختلافِ التَّعبيرِ بينَ جملتَيِ العَطْفِ:

في هذه الآيةِ غايَرَ النَّظْمُ الجليلُ بينَ جملتَيِ العَطْفِ، ففي جانبِ القَبولِ عَبَّر بقَبولِ الأحسنِ باستعمالِ صيغةِ التَّفضيلِ، فقال: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾، ولم يقل: (نَتَقَبَّلُ عنهم حَسَناتِهم)، وأمّا في جانبِ العَفوِ والتَّجاوُزِ؛ فعبَّرَ بصيغةٍ تُفيدُ العمومَ، فقال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، وعدَلَ عنِ استعمالِ أفعلِ التَّفضيلِ، فلم يقلْ: (ونَتَجاوَزُ أسوأ ما عملوا)، أو كما قالَ في آيةٍ أخرى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الزّمر: 35]، ويرجعُ إلى إرادَةِ بيانِ سعَةِ رحمةِ اللّهِ بهؤلاءِ المُحسنينَ، فهوَ سبحانه يعفو عَن كلِّ سَيِّئاتِهم، سواء أكانتْ مِنَ الصَّغائرِ أم مِنَ الكبائرِ، فضلًا منهُ ورحْمَةً، وأمّا في جانبِ التَّقَبُّلِ، فنصَّتِ الآيةُ على قَبولِ الأحسنِ، وقد سبق بيانُه، بأنَّه جميعُ الطّاعات، وعلى رأسِها برُّ الوالدَينِ حسبَ السِّياقِ.

رحمةُ اللّه اقتضتْ قبولَ أحسنِ الأعمالِ، والتَّجاوزَ عن جميعِ السَّيّئات

بلاغةُ استعمالِ حرفِ ﴿فِىٓ﴾ في قوله: ﴿فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾:

دَلَّ استعمالُ حرفِ الظَّرفيَّة ﴿فِىٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَتَجَاوَزُ

المحسنونَ إلى آبائِهم وأُمَّهاتِهم واسطَةُ العقدِ في الجنَّةِ

عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ على كونِ المحسنينَ إلى آبائِهم وأمَّهاتِهم ضمنَ أصحابِ الجنَّةِ، وذلكَ نحو: أكرَمَني الأميرُ في ناسٍ من أصحابِه، تريدُ: أكرَمني في جملةِ مَن أكرمَ مِنهُم، ونَظَمَني في عِدادِهم، ومحلُّه النَّصبُ على الحال[1]، على معنى أنَّهُم صاروا كائِنينَ في عِدادِهم أو مُثابينَ معهم أو مَعْدودينَ فيهم[2]، ففي هذا التَّعبيرِ دلالَةٌ على أنَّ المُحسنينَ إلى آبائِهم وأُمَّهاتِهم في وسَطِ أصحابِ الجَنَّةِ، وقد أحاطوا بِهِم من كلِّ جانبٍ، فهُم واسطَةُ العقدِ، فقد صاروا بهذا الخُلُقِ الكريمِ أهلًا لمصاحَبَةِ النَّبيِّينَ والصِّديقينَ والشُّهداءِ والصّالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقًا، وشتّانَ بينَ مَن يكونُ في معيَّةِ هؤلاءِ الصَّحبِ الكرامِ، ومن يكونُ في معيَّةِ الأشقياءِ المُعَذَّبينَ[3].

تَوجيهُ إعرابِ ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾:

زيادَةُ إكرامِ المحسنينَ وحُسنُ العنايَةِ بهِم، وشرفُ صحبَتِهم ومعيَّتهم

ذهبَ المُعربونَ إلى أنَّ قولَ اللهِ تعالى: ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ فيه ثلاثةُ أوجُهٍ[4]، أحدُها: - وهو الظّاهر - أنَّه في محلِّ حالٍ، أي: كائنينَ في جملةِ أصحابِ الجنَّة، كقولِك: أكرَمَني الأميرُ في أصحابِه، أي: في جملتهم، وهو ما يُشيرُ إلى زيادَةِ الإكرامِ والعنايةِ بهؤلاءِ المحسِنينَ إلى آبائِهم وأمَّهاتِهم، فمعنى الظَّرفيَّةِ أنَّهُم معدودونَ من زُمرَتِهم، وعَدُّهُم فيهم يَقتَضي ثوابَهم الجَزيلَ مع المغفرةِ، فدَلَّت على المبالغةِ في عُلوِّ مَنْزِلَتِهم في الجَنَّةِ؛ إذ إنَّ قولَكَ: فلانٌ مِنَ العلماءِ أبلغُ من قولك: فلانٌ عالمٌ[5]، والثّاني: أنَّ ﴿فِيٓ﴾ بمعنى (مع)، وفيه دلالةٌ على شرفِ المَعيَّةِ والصُّحبَةِ، والثّالثُ: أنَّها خبرُ مبتدأ مُضْمَرٍ، أي: هم في أصحاب الجنَّة، فجاءَ الحَذْفُ للإيجاز؛ استعجالًا للوصولِ إلى كونِهم في ربوعِ الجَنَّةِ.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 303.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 114.
(3) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 447.
(4) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 9/ 670.
(5) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 31.

نُكْتَةُ استعمالِ ﴿أَصْحَٰبِ﴾ دونَ (أهلِ):

ملازمةُ المحسنين للجنَّة، فهُم أصحابُها المُقيمون فيها

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظِ (الأصحابِ) في قولِه تعالى: ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ دون غيره مِنَ الألفاظِ المرادفةِ لَهُ، مثل لفظِ (أهلِ) الَّذي يدلُّ على السُّكْنَى طالتْ أم قَصُرَتْ؛ لِما لمفرَدَةِ (الأصحابِ) مِن دلالاتٍ تُميِّزُها عَن غيرها؛ إذِ الصُّحبةُ تدلُّ على المُلازمة[1]، فدلَّت على أنَّ المحسنين الفائزينَ بدخولِ الجَنَّةِ مُلازموها ومُلابسوها، بحيثُ لا يفارقونها، فسُكناهم فيها ومُقامُهم فيها، وفي الصُّحبةِ معنى الوَصْلَة، فَسُمّوا أصحابَها لاتِّصالهم بها، ولكونهم فيها، ولدَوام بقائهم فيها، كأنَّهم مَلكوها، فصاروا أصحابها، وفي وصفهم بأنَّهم ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ إشارةٌ إلى التَّمكين لهم مِن كلِّ ما فيها من نعيم، بوصْفهم أصحابُها المالكون لها، يَتصرَّفون فيها تَصَرُّف المالك فيما ملك من غير مراجعةٍ أو حسابٍ، كما قالَ اللّه تعالى لهم: ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: 43].

غرضُ جمعِ لفظِ ﴿أَصْحَٰبِ﴾:

المحسنونَ جميعًا هم أصحابُ الجنَّةِ

جاءَ لفظُ ﴿أَصْحَٰبِ﴾ في قوله: ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ بصيغة جمعِ التَّكسير؛ إشارةً إلى أنَّ جميعَ المُحسنينَ هُم أصحابُ الجَنَّة، وكذلك للإشارة إلى جمالِ الصُّحْبَةِ والأنسِ بأصحابِهم وأهليهم الَّذينَ أحسنوا إلى بعضهم بعضًا، جيلًا بعدَ جيلٍ، وهوَ ما يبعثُ على المزيدِ مِنَ السُّرور، فمِن أحد أسباب السَّعادة للإنسانِ وجودُ من يشاركُه سعادَتَهُ، ويَأنسُ به، فهذا الوصفُ، وهذا الاختصاصُ، وهذا الجمعُ في قولِه تعالى: ﴿فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ فضلٌ مِنَ اللّه وإحسانٌ وتكريمٌ، ومزيدُ تشريفٍ، وسعادةٌ لهم.

(1) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 447.

معنى (ال) ودلالتُها في لفظِ ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾:

الـجَـنَّـةُ هي المعهودةُ لدى المُحسنين

جاءَ لفظُ الجنَّة في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ معرَّفًا بـ (الـ) العهديَّةِ؛ للدَّلالةِ على الجنَّة المعهودة المعروفة الَّتي أعدَّها اللهُ للمحسنينَ، الَّذينَ آمنوا بها وبخالقِها، فَأحسنوا إلى آبائِهم وأُمَّهاتِهم؛ ابتغاءَ الوصولِ إليها والخلودِ فيها، فهي دارُ الجزاءِ والنَّعيمِ، وهي جنَّة الخُلد، والعهدُ فيها ذِكْرِيٌّ يعود إلى قولِهِ جلَّ شأنهُ في صدرِ الحديثِ عَنِ المحسنين المفلحين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف: 13 - 14].

دلالةُ التَّركيبِ الإضافِيِّ ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾:

مَدْحُ أهلِ الجنَّة وتشريفُهم وتعظيمُهم، مع الإشارة إلى تمكُّن إقامتِهم فيها

أضاف النَّظْمُ الجليلُ لفظَ ﴿أَصۡحَٰبِ﴾ إلى ﴿ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ على جهةِ المدحِ والتَّعظيمِ والتَّشريفِ لهُم، وإشارةً إلى أنَّهم مُسْتَحِقّوها حقًّا بفضلِ اللهِ وإحسانِهِ جزاءَ إحسانِهِم، وإلى تمكُّنِهم وإقامَتِهم فيها إقامةَ المالكِ المُتَصَرِّف بمُلْكِه.

فائدةُ إضافَةِ الوعدِ إلى الصِّدق:

وَعْدُ اللهِ تعالى لا يكونُ إلّا صِدْقًا؛ لأنَّه تعالى لا يُخْلِفُ الميعادَ

جاءَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ توكيدًا لِمَضمونِ الجملةِ قبلَه، وهي قولُه تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾؛ لأنَّ فيها معنى الوعدِ، ولا مُحْتَمَلَ لها غيرُه كقولك: (لَهُ عَلَيَّ كذا عُرْفًا)، فهوَ منصوبٌ على أنَّه مصدرٌ لفعلٍ مقدَّر[1]، أي: (أولئِكَ الَّذينَ وعَدْناهُم وعْدَ الصِّدْقِ)، وهذا التَّركيبُ إضافَةٌ عَلى مَعْنى (مِن)، أي: وعْدٌ مِنَ الصِّدْقِ؛ إذْ لا يَتَخَلَّفُ[2]، وكأنَّ الصِّدقَ صار من ماهيَّةِ الوعدِ، كما تقولُ: كَلِمةُ

(1) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 8/ 31.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 36.

الحَقِّ، ورجلُ العدلِ[1]، وفي تلك الإضافةِ دلالةٌ على أنَّ وعدَ اللّه تعالى لا يكون إلّا حَقًّا وصِدْقًا، وفيه أيضًا مبالغةٌ في الاتِّصاف، أي: الوعد الصّادِق الَّذي لا كَذِبَ فيه، فهو وعْدٌ مِنهُ ﷻ بالتَّقَبُّلِ والتَّجاوُزِ[2].

دلالةُ استعمالِ مفرَدَةِ ﴿ٱلصِّدْقِ﴾ دونَ (الحَقِّ):

الصِّدقُ وصفٌ قائمٌ بتَحَقُّقِ الوعدِ

آثَرَ النَّظمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بمفردَةِ ﴿ٱلصِّدْقِ﴾ دونَ مفردَةِ (الحَقِّ)؛ وذلكَ لأنَّ الصِّدقَ الإخبارُ عن الشَّيءِ على ما هو به، فهو سبحانَه يعِدُهُم وعْدًا لا تغيُّرَ فيه، وأمّا الحقُّ؛ فهوَ أعمُّ مِنَ الصِّدْق؛ لأنَّهُ وقوعُ الشَّيءِ في مَوقعِه الَّذي هو أولى به، كما أنَّ الحقَّ يكونُ إخبارًا وغيرَ إخبارٍ[3]، والمَقصودُ: بَيانُ أنَّهُ تَعالى يُعامِلُ المحسنينَ بِهَذا الجَزاءِ، وذَلِكَ وعْدٌ مِنَ اللّه تعالى، فَبَيَّنَ أنَّهُ صِدْقٌ، ولا شَكَّ فِيه، وذلكَ لِكَونِهِ مُطابِقًا لِلواقِعِ[4]، فمَدارُ الأمر على صِدقِ تحقُّقِ الوعدِ، لا كونه حقًّا أو باطلًا، فإذا ثبَتَ صِدقُه؛ فهو حقٌّ؛ لأنَّه صادرٌ عن الحقِّ سبحانه.

نُكْتَةُ الوَصفِ بِالاسمِ المَوصول:

شـهـرةُ الـوعـد وثباتُه ورسوخُه في عِلْم الله

وصفَ النَّظْمُ الكريمُ ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ بالموصولِ: ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟﴾؛ وجاء ذلك توكيدًا للوعدِ السّابقِ، وقد آثَرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالاسم الموصولِ ﴿ٱلَّذِى﴾؛ إشارةً لشُهرَةِ هذا الوعدِ وثباتِهِ[5] ورسوخه في عِلْمِ اللّهِ ﷻ.

دلالةُ ذِكرِ ﴿كَانُوا۟﴾ دونَ الاكتفاءِ بالفعلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾:

في توكيدِ الوعدِ وترسيخِهِ طمأنَةٌ لقلوبِ المحسنينَ

أفادَ ذِكْرُ فعلِ ﴿كَانُوا۟﴾ في جملَةِ الصِّلَةِ تقريرَ معنَى الوعدِ وتحقيقَه وتوكيدَه؛ لأنَّ الكلامَ إذا مُدَّ، ومُطِلَ جزءٌ منه؛ دلَّ على

(1) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 447.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 177.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 21.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 48.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 151.

أنَّ من مقاصدِ الكلامِ تحقيقَ المعنى وترسيخَه؛ لأنَّ هذا الوعدَ هو البشارةُ، وهو الإنذارُ أيضًا، والبشارة والإنذار لهما شأن في سياق هذا الكلام، ثمَّ إنَّ صيغةَ الماضي في قوله: ﴿كَانُواْ﴾ تُفيد أنَّ هذا الوعد كان يطرقُ أسماعَهم منذ الزَّمنِ البعيدِ، وأنَّه شأنٌ من شؤونِ اللهِ مع خَلْقه من أوَّل النُّبوّات؛ لأنَّ بشارةَ المحسنينَ كانتْ ولا تزالُ قائمةً، وهي في الصُّحف الأولى منذ أوَّل النُّبوّات[1].

نُكْتَةُ بناءِ فعلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾ للمَفْعولِ:

إبـــرازُ الـوعـدِ الـصّـادِقِ دليلٌ عـــلى عـظـيـمِ الجَزاءِ

بَنَى النَّظمُ الجليلُ الفعلَ ﴿يُوعَدُونَ﴾ للمفعولِ دونَ الفاعلِ، وذلكَ لأمرين، **الأوَّل:** للعِلْم بالفاعلِ صاحبِ الوعدِ الصّادقِ، وهو المولى تعالى، على لسانِ رُسُلِهِ الصّادقينَ صلواتُ اللهِ عليهم أجمعينَ، **والآخر:** للاهتمامِ بإبرازِ الوعدِ في ذاتِه، وهو الأمرُ المقصودُ في الآية.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارَعَةِ:

الـوعْـدُ الـصّـادق يتكرَّرُ ويتجدَّد

جاءَ التَّعبيرُ بالفعلِ المضارع ﴿يُوعَدُونَ﴾؛ لإفادَةِ أنَّ هذا الوعدَ الصّادقَ يتكرَّرُ، ويتجدَّدُ، ويطرقُ أسماعَهم الوقتَ بعد الوقت، بشِقَّيه الَّذي هو الإنذارُ والبشارةُ، وقد آذن له، وأصغى إليه المحسنون، وأعرضَ عنه المُعرضون[2].

فائدةُ حذفِ مفعولِ فعلِ ﴿يُوعَدُونَ﴾:

تسليطُ الضَّوءِ على قيمةِ الوعد

حذفَ البيانُ القرآنيُّ مفعولَ ﴿يُوعَدُونَ﴾ للاختصارِ والإيجازِ، الَّذي هوَ سمةٌ أصيلةٌ في النَّظمِ القرآنيِّ، وكذلك جاء رعايةً للفاصِلَةِ، حتّى يسيرَ نسقُ الآي على وتيرةٍ مُحبَّبَةٍ تأسِرُ نفس المُتلقّي، وتستميلُهُ للعملِ بما في الآيةِ منَ الهدي الكريم في برِّ الوالدَين، وحثًّا على المبالغَةِ في الإحسانِ إليهم، ولتسليطِ الضَّوءِ على قيمةِ الوعد الَّذي كانوا يوعدون، دون الموعودِ، فإنَّ الوعدَ إذا ثبت؛ جاء ما بعدَه.

(1) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 447.
(2) محمّد أبو موسى، آل حم: (الجاثية، الأحقاف)، دراسة في أسرار البيان، ص: 447.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"